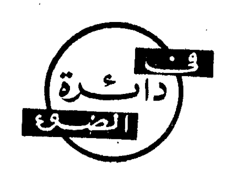


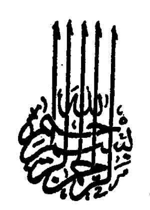
الإسلام

في وجه التيارات الوافدة والمؤثرات الأجنبية

أنور الجندي

دار الاعتصام

المسـلمون
فى وجه التيارات الوافدة



بسم الله الرحمن الرحيم

عندما يرد على الخاطر أو اللسان كلمة التيارات الوافدة فى هذا العصر تكون الاجابة السريعة انها هى « الماركسية » : الصيحة الأخيرة فى العالم الاسلامى التى تشغل الباحثين وتحاول أن تزيف الفكر الاسلامى بما القت اليه فى السنوات العشرين الأخيرة من نظريات ومفاهيم لم تقدم له على نحو يسمح بالنظر أو المراجعة أو تحت لواء البحث والاقتناع وانما قدمت تحت تأثير قوة قاضية فرضت هذا الفكر فرضا ودقت أجراسه يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة عن طريق كل الوسائل السمعية والبصرية ، فى نفس الوقت الذى عزل غيره تماما وخاصة الفكر الاسلامى العربى الأساسى ، ولذلك فان التجربة كانت قاسية تماما . ولقد أمكن أن يلتقى الفكر الليبرالى القديم والفكر الماركسى وأن يتصارعا فى مساجلات متعددة ولكن : لم يكن من حق الفكر الاسلامى (فى ذلك الوقت) وهو صاحب الأرض أن يتدخل أو يعلن عن وجوده فكأنه مات تماما .

ولكن هل هو مات حقا ! محال ، انه على مدى تاريخه

الطويل يواجه مثل هذه الأزمات ويخرج منها مشعا مضيئا كالذهب عندما يدخل النار .

لقد مر الفكر الاسلامى منذ جاءت قوى الاحتلال الغربى بنصف التجربة وكان عليه أن يستكملها . فما دام العــالم الاسلامى قد فرض عليه ذلك الانموذج الغربى فى السياسة والاقتصاد والقانون : الذى جاء فى ركب الاستعمار ، هذا النموذج الذى لم يستطع خلال اكثر من سبعين عاما أن يحقق تقبلا أو استجابة للنفس العربيــة الاسلامية واثبت فشله الذريع فى التطبيق ، كان لابد وقد تدافع المجتمع الاسلامى الى الغزو الماركسى أن يتعرف الى ذلك النموذج ويطبقه ليرى هل يكون اكثر صلاحية ، وقد كانت الاستجابة أكثر فشــلا وعجزا ، ذلك ان الماركسية ليست نظاما مستقلا ولكنها : رد فعــل للنظام الرأسمــالى الديمقراطى الليبرالى الغربى وجزء منه .

ونحن نجد انفسنا اليوم وبعد عشرين عاما من التجربة الماركسية وبعد تسعين عاما من التجربة الليبرالية : وقد حصلنا على نتيجة « الصفر المركب » . واحس العقــل العربى الاسلامى انه كان يعايش تجربتين فاشلتين بعيدتين كل البعد عن مشاعره وروحه وذاتيته .

بل انه عرف من بعد أن سر (النكبة والهزيمة والنكسة)

مما حاق به فى السنوات التى بدأت منذ ١٩٤٨ وامتدت الى ١٩٦٧ انما كان نتيجة هذا الاستسلام للتبعية لمنهج وافد عجز عن تحقيق أى تقدم أو أمن لمجتمعه الأصيل الذى نشأ فيه فكيف يكون مستطيعا أن يحقق ذلك لمجتمع غريب عنه .

تلك هى الصورة التى تواجهنا اليوم بعد أن تحررنا من صورة الهزيمة ودخلنا فى أفق معرفة النفس ، والتماس الأصالة ، وتأكيد الذاتية ، وبلوغ الرشد والاحساس القوى بأن هذا وحده هو المنطلق الصحيح لمستقبل يتطلع الى التحرر من كل تبعية وغزو واستعمار وسيطرة القوى الخارجية .

ولقد كشفت الأحداث فيما كشفت عن هـدف واضح صريح : من وراء كل مخططات الغزو ومن وراء التيـارات الوافدة جميعا هو : « القضاء على الهوية » على الذاتية ، على الشخصية ، على ذلك الطابع الأصيل الذى كونتـه عوامل العقيدة والثقافة والأرض والطبيعة جميعا . القضاء عليه بالاحتواء والاذابة والعمـل على صـهره فى البوتقة العالمية ، التى تواجهه من جهـاته الثلاث : استعمارية وصهيونية وماركسية ، وتواجهه بالمادية والالحاد والاباحية والقضاء على القيم والتاريخ واللغة والدين .

الهدف هو صهر هذه الأمة : المتفردة بذاتية التوحيد الخالص منـذ أن براها الحق تبارك وتعالى لتكون علمـا

على فكرة الحق ، متميزة بالفكر الربانى السمح فى مواجهة زحف الفكر البشرى المضطرب العاصف الحامل لكل الأخطار.

ولقـــد استطاع الفـــكر البشرى بنفوذه الســـياسى والعسكرى والاقتصادى حين سيطر على عالم الاســـلام وانحسر عنه ثمة ، أن يترك فيه قواعده ومؤسساته وقواه ، وتلك الأجيال التى تتابع تجربتها معاهد الارساليات من أتباعه ودعاته الذين يحمـــلون لواء التغـــريب والغزو الثقـــافى والشعوبية ، أولئك الكارهون لهذه الأمة ولعقيدتها ولغتها والحاقدون على مكانها فى الأرض ، وعلى ما فى يدها من ضوء **(يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره).**

ولكن التجربة التى بين أيدينـــا الآن قد أثبتت فشل الاتجاهين الليبرالى والماركسى ، وفشـــل التقليد والاقتباس والتبعية التى وقع فيها عالم الاسلام حين حجب عن نفسه قيمه وتراثه ومفاهيمه ، واتخـــذ أسلوبا وافدا فى مجال القانون والتربية والاقتصاد والسياسة ولم يتبين له فشل هذا الأسلوب الا بعد أن ظهرت نتائج قاسية من الهزيمة والنكبة والنكسة حيث تبين أن المسلمين قد عاشوا فى خدعة بالغة شديدة حين تابعوا بغير تقدير وروية ذلك المنهج الوافد وغابت عنهم حيطة الأصالة والذاتية ، حتى كادوا يفقدوهما ، ولم يكن أسلوبهم هو أسلوب البناء على الأساس الصحيح ، مع الانتفاع بخيرات الآخرين وتجاربهم ، ولكن كانت تبعيتهم

قــد حالت دون تبين أى وجــه للمنــابع الأصيلة الأولى التى هى مصدر وجودهم وكيانهم ، ومن هنا فقد قاسوا الأمور بمقاييس وافدة حجبت عنهم الرؤية الحقيقية وجوهر الأشــياء والطريق الأصيل فلم يلبث الجيــل كله أن وقع فى الأزمة الخانقة ، والحــيرة المظلمة ، وقع فى « مدلهمة عمياء » هى بمثابة نقطة تحــول شديدة ، وموقف حاسم ، لا سبيل الى تجاوزه الا باعادة النظر فى كل تلك المسلمات والأساليب والمناهج التى لم تكن صالحة أساسا لليقظــة او للنهضة ، والتى حاولت أن تقضى على النبت الحقيقى الذى كان قد حمل لواء اليقظة منذ أكثر من قرن ونصف، قرن من الزمان حين انشأ التغريب « دائرته المغلقة » وشكل فيها اولئك الذين اسماهم قادة الفــكر والثقافة والتربية والتعليم فى ســنوات الهزيمة والنكسة والذين جاءت على ايديهم تلك النتائج المفزعة الخطيرة .

ومن ثم فان الماركسية ليست وحدها التحدى الأوحد وان كانت هى ابرز التحديات التى تواجه عالم المسلمين اليوم : ذلك لأن الأفكار التى طرحتها خلال السنوات العشرين الأخيرة ما تزال تحتاج الى تفنيد وتمحيص وكشف عن سمومها وتعريف بزيفها ورفع لها من عقول الناس وقلوبهم ..

غير أن الوقوف عندها والاقتصار عليهــا يفوت على المسلمين خطرا ويفسح للقوى التغريبية المجال فى ميادين

اخرى كثيرة . والمعروف أن الليبرالية والماركسية مؤسسات واضحة ظاهرة يسهل التعرف عليها ومواجهتها ولكن جهدا كبيرا يجب ان ينفق لمواجهة المؤسسات الخفية المتسترة تحت أسماء العلوم والثقــافة : واخطرها الفرويدية والوجودية ومدرسة العلوم الاجتماعية .

وهى مدارس تسيطر عن طريق الجامعة ، والثقافة ، والصحافة ، وتدخل فى مجال الدراسات العلمية كأنها رافد من روافد الفكر الانسانى بينما هى فى حقيقتها أشد خطرا من الماركسية والليبرالية على السواء .

لقــد تبين لعــالم الاســلام أن التجربة السياسية أو الاقتصادية الغربية أو الماركسية كلتاهما قد لقيت الفشل الذريع ، ولم تتقبلهما النفس العربية الاسلامية ، وقد وجدت فيهما تضادا بينها وبين قيمها ومفاهيمها وذاتيتها . وقد اثبتت تجربة التطبيق السياسى الاقتصادى فشل المذهبين وعجزهما عن العطاء فى المجتمع الاسلامى ، ولكن هناك مذاهب ما تزال تتحرك فى داخل المجتمع والنفس والأخلاق والتربية تكاد تكون كالمسلمات اليوم من شأنها أن تفسد بناء شخصية الانسان المسلم على النحو الذى يجعــله اهلا للطابع الاســلامى الصحيح .

ان لنا فى المجــال العــام : امرين ما زالا مضيعين :

هما التربية الاسلامية والشريعة الاسلامية ، وهما يفسحان المجال لشر كثير يأتى من ناحية المدرسة والمصرف والأسرة ، ولابد من اجراء تغيير كبير بشأن تحقيق هذين الأمرين :

ولكن هنـــاك فى المجتمع الاســـلامى خطر يتزايد اليوم ويستفحل : ذلك هو بث السموم عن طريق القصة والأغنية والمسرحية والسينما وكل ما من شأنه أن يشكل موصـــلا للبث الدائم اليومى السريع ، الذى يحمل معه تلك الأفكار المسمومة التى تتعارض مع مفاهيم الاسلام ، والتى تظل تروى للنـــاس فى حوار القصص والمسرحيـــات حتى يظن الكثيرون انها هى المفهوم الصحيح لعلاقات الرجل والمراة ، والآباء والأبناء ، وما يتصل بالحب والزواج ، وطريقة الحوار بين الناس فى المجتمع ، فى التعامل العام والخاص ، وقد وجد أصحاب التيارات الوافدة أن القصة أصلح طريق لتوصيل مذاهبهم الملحدة والاباحيـــة وافكارهم المسمومة الى قلوب الناس وعقولهم وهم فى مرحلة الاستسلام والراحة وقبـــل النوم ، وعلى نحو يكون فيه صاحب الأفكار هو الذى يقدم مفاهيمه دون أن يناقشه أحـــد فى أمر صحتها أو فسادها ، سلامتها أو اضطرابها : واغلب من يستمع لذلك شباب المسلمين الغر البسيط الســـاذج ، الذى لم تدعمه ثقـــافة اسلامية اصيلة يفهم بها الصحيح من الخطأ والحل من الحرام والحق من الباطل ، ومن هنا فان جهاز البث الممتد من أجهزة السمع والرؤية الدائمة والمسرح والسينما انما تقدم للمجتمع

الاسلامى أخطارا عديدة ، تدلف الى القلوب غير مستأذنة ، وتتردد يوما بعد يوم ، وساعة بعد ساعة ، فتسيطر وتتمكن ، ولاتجد من ثقافة الاسلام الحقيقية ما يصححها أو ما يردها ، وهى تقدم دائما فى أسلوب الحوار والتصص ، وباللغــة العامية ، وبأشد عبارات العامية انخفاضا ، وكأنما انتقيت لها بأسوأ ما يتحاور به أقل الناس ثقافة وأكثرهم حماقة وجهلا ، من أهل الأحياء الموصومة بالعنف والحدة .

تجرى هذه الألفاظ على السنة الممثلين فى المسرحية أو القصة أو الفيلم على نحو يزرى بكل خلق وكرامة وأدب فتحس كأنما الحياة بين الناس صراع عنيف ومغالبة بالكلمة المريرة ، وقدرة على استعمال أسوأ المصطلحات والألفاظ ، وتجد هذا كله قد أصبح يجرى فى مجال الحياة العامة فعلا بين الناس بعد ذلك ، فى زحامهم بالناقلات ، أو فى شرائهم وبيعهم ، أو فى كل ما يلتقى فيه رجل برجل أو رجل بامرأة .

واذا كانت الجريدة أو الكتاب تحمل للناس وجهــات نظر قد تكون فاسدة أو منحرفة فان (القصة ــ المسرحية) أشد خطرا من الكتاب والصحيفة ذلك أن الكتاب يقرؤه قلة والصحيفة يقرأ كل انسان منها شيئا من شئونه أما القصة والمسرحية فهى تحت أبصار الناس واسماعهم فى كل ساعات اليوم ، وخاصة ساعات الراحــة والاستجمام والاسترخاء وهى أخطر لحظات الاستهواء .

وهكذا نرى ان التغريب خدمة للاستعمار والصهيونية والشيوعية يعمل على تقويض المجتمع والأسرة ، والفرد ذاته وذلك بوضعه فى مجموعة من الأفكار المسمومة عن علاقاته بالمجتمع والمراة والأسرة وخلق « اسلوب » عدوانى من الصراع بين الفرد والفرد ، والفرد والجماعة القضاء على روح الايمان والأخلاق التى يدعو اليها الدين الحق .

وبحيث تخرج هذه المفاهيم الرجل والمراة من « الحدود » والضوابط والقيم التى رسمها الحق تبارك وتعالى للبشرية من أجل اقامة المجتمع الربانى فهى تهدف أول ما تهدف الى طرح فكرة الانطلاق الاباحية الواسعة ، التى لا تقف عند حد والتى تسيطر فيها الشهوات المادية من مال وشهرة واستعلاء وثراء دون أن يحسب حساب القيم الأخلاقية أو الضوابط الاجتماعية التى تحول دون الاعتداء على حقوق الآخرين ، فالمراة فى هذه المفاهيم المطروحة ترى نفسها وقد احتقرت زوجها واستعلت عليه لأنها تعمل وتكسب مثله ، وبذلك فليس له عليها رأى أو قوامة ، والولد يرى أباه بغيضا الى نفسه لأنه يرده الى طريق الخير ويوجهه فى هذه المرحلة الدقيقة التى لا يستطيع فيها أن يتصرف دون خطأ ، والرجل يرى نفسه منطلقا ليكسب من أى سبيل ، ولينفق فى كل لذة وغواية ، دون تقدير او حساب لمسئولية الزوجية او الأسرة او الأبوة وهكذا تتمثل هذه المفاهيم فى صورة حوار وقصص يطرح أمام الأجيال ما يخرجها عن دينها وقيمها .

هـذه اخطر التحديات

ولا ريب أن هذا الجانب الاجتماعى هو اخطر التحديات التى تفرضها التيارات الوافدة والمؤثرات الأجنبية التى عاشت تعمل فى ميدانين اثنين : هما تدمير الأسرة والمجتمع الاسلامى وتدمير النفس الانسانية والعقل الانسانى ، هنا بالالحاد وهناك بالاباحية وعن طريق أدوات الحضارة الحديثة أمكن افساد المجتمعات بدفعها الى طريق الشهوات والأهواء واعلاء الغرائز والخروج عن دائرة المحرمات والضوابط ، ولقد كان للاسلام موقف واضح صريح امام الجوانب السلبية من الحضارة وهى رفضها وانكار الاستسلام أو القبول لأسلوب العيش الغربى فى مسائل الأسرة والمرأة والخمر والتحلل الخلقى .

● وامامنا نتائج التجربة واضحة : فان المجتمع الغربى حين اندفع خروجا بالفردية الى اسقاط حق المجتمع والأسرة والجماعة او حين اندفع خروجا بالجماعية الى اسقاط حق الفرد والذاتية ، حين فعل ذلك فى شطره الغربى او ذلك فى شطره الشرقى ، فانما جانب الأصالة والفطرة التى عملت

رســـالة دين الله الحـــق المنزل على اعلانهـــا واقرارها فى المجتمعات والحضارات . وبذلك عمت هنالك ازمة العصر وازمـــة الانســـان المعـــاصر الممزق نفســـيا والمنحـــرف وذى الاحساس العميق بالغربة والقلق والغثيان .

ذلك الأن الطبيعة الانسانية طبيعة-جامعة بين مطامع المادة واشواق الروح ، فاذا اعطيت جانبا واحدا على النحو الذى تعطيه الحضارة الغربية اليوم فانهـــا تحجب الجانب الآخر وتعزل قطاعا حيا فى الانسان لا يمكن أن يحيا بدونه .

● وقديما عرف الغرب الرهبانية واعلى شأن الروحية وانعزل عن الحياة وانكر الأسرة والمراة والغرائز : غرائز الطعام وغرائز الجنس حتى فسدت الحيـــاة فسادا شديدا ثم هو فى جولته الجديدة هذه ينحرف انحرافا شديدا نحو المادة واعلاء غريزة الطعام فى الماركسية وغريزة الجنس فى الفرويدية مع اسقاط الروحية والجوانب المعنوية اسقاطا كاملا .

● ومن شأن المسلمين ان يواجهـــوا هـــذا الموقف مواجهة واضحة فيقيموا اسلوب عيشهم الاجتماعى الجامع بين الروح والمادة والعقـــل والقلب ، وأن يقفوا من نزوة الجوانب المتصلة بالشهوات والغرائز والخمور والمخـــدرات

موقفا واضـــحا فى سبيل حماية كيانهم الفردى والانسانى ووجودهم الاسلامى فى اطار تطبيق شريعتهم الاسلامية .

● وليذكروا أنهم انما يقفونَ فى موقف الهدف المصوبة اليه النيران من جميع الجهات وانهم فى رباط دائم الى يوم القيامة ، وان الأمم تزحف دوما الى ارضهم وتغزو وجودهم وكيـــانهم حتى تسيطر على مقـــدراتهم وتمتلك ارادتهم ، وهم يواجهون هذا الخطر وهذا التحدى منـــذ ظهرت دعوة الاسلام ولا يزالون .

وما يمرون به الآن من صراع مع القوى الصهيونيـــة والماركسية والاستعمارية ليس الا مرحلة من هذه المراحل تتطلب منهم ان يكونوا على أهبـــة دائمة ويقظة دائمة وان يكونوا قادرين على بناء الأجيال على هذه المفاهيم وفطمها عن الشهوات وقبول حياة التضحية والخشونة حتى يكونوا قادرين على الوقوف فى وجه الخطر .

● وابرز ما هو مطلوب اليوم هو الاعتصام بأسلوب العيش الأسلامى البعيـــد عن الترف والتحلل . فالمسلمون يعيشون فى مرحـــلة الخطر ، وفى موقف المرابطة الدائمـــة فى وجه الخطر المحدق بهم من كل ناحية .

أما اسلوب العيش الغربى القائم على التحلل والاباحة

والترف فانه سوف يقضى على وجودهم حين تجتاحهم قوى الغزو ، فلن يقدروا على الوقوف فى وجهها أو حماية بيضتهم .

ولما كانوا أصحاب رسالة ودعوة وعليهم أن يطبقوا شرعتها عليهم ، فهم مطالبون بأن يعيشوا حياة الدعاة ، حياة الصمود والصبر والخشونة والتجلد ، ومن ثم فان أسلوب القصة والمسرحية ليس أسلوبا أصيلا وليس منطلقا صحيحا لبناء الوجود الاسلامى فى المجتمع العربى المعاصر .

وهنا وقفة متريثة حول الأصالة والتبعية :

ان الأخطار والتحديات التى يواجهها الاسلام والعالم الاسلامى كله انما تنبعث من مصدر واحد هو : مطامع النفوذ الأجنبى فى استبقاء السيطرة واستمرار الاستيلاء والحيلولة دون تحرر الارادة الوطنية والقومية لتحقيق السيادة وبناء الأيديولوجية الأصيلة والمنهج الراسخ المستمد من القيم الأساسية والمنابع الأصيلة والمصادر الذاتية .

ان قضية البقاء الأجنبى فى عالم الاسلام تتصل أوثق اتصال بالعمل على اذابة هذه الشعوب فى البوتقة الغربية واخراجها من أصولها وقيمها ومن تراثها وفكرها ، ولغاتها وتاريخها واسلامها الى التبعية الكاملة .

وعن هذا الطريق يمكن القضاء على — منهج الفكر الاسلامى — القائم على التوحيد والمستمد من القرآن الكريم .

ومن هنا يكون اخطر التحديات التى تواجه الاسلام والمسلمين اليوم والتى هى مصدر كل التحديات والأخطار انما هو — الأصالة والتبعية — وفهمنا لها وموقفنا منها .

واذا كانت تحديات الغزو الخارجى ، وفى مقدمتها الغزو الثقافى قد تعددت فى عشرات من القضايا والموضوعات والمفاهيم فانها جميعا يمكن أن ترد الى قضية واحدة كبرى هى اليوم مجال التحدى الصحيح هى قضية الأصالة والتبعية .

فاذا تقرر رأينا فيها بوضوح وصدق أمكن على ضوء ذلك مواجهة كل التحديات والانتصار فى كل المواقف والميادين .

وقد ركز النفوذ الاستعمارى على هذه القضية بعد نكسة ١٩٦٧ تركيزا شديدا واعتبرها فى مقدمة أهدافه فحق علينا أن نلتفت اليها ونجعلها فى مقدمة التحديات التى تواجه الاسلام والفكر الاسلامى والثقافة العربية — فى هذا العقد الأخير من القرن الرابع عشر وان الانتصار فيها هو مطالع النور للقرن الخامس عشر قرن انتصار الأصالة وهزيمة التبعية .

ان أخطر ما يواجه المسلمين والعرب ان المفكرين منهم يفكرون من داخل دائرة الفكر الغربى — وهذا هو سر أخطائهم ، ومرجعه الى ذلك التيار الضخم من التغريب الذى سيطر خلال السنوات الخمسين الماضية ، فأول أهداف الأصالة هى التحرر من دائرة الفكر الغربى ، ونقل التفكير كله الى دائرة الفكر الاسلامى نفسه بمفاهيمه وقيمة الذاتية ، ومزاجه النفسى والاجتماعى ، ان لنا نظرية أصيلة كاملة فى الاجتماع والنفس والتربية والاقتصاد فلنعرض عليها مواقفنا ولنعرض عليها مختلف ما يرد الينا من نظريات الفكر الوافد ، ولننظر الى نظريات الفكر الغربى — بشقيه — على انها نظرات تخص الآخرين استمدوها من بيئاتهم وظروفهم وتحدياتهم وعلينا أن نقف دائما فى ضوء فكرنا .

ان اى نظرية أو مذهب أو قضية يجب أن تعرض على أصول فكرنا العربى الاسلامى ، ذلك أن فكرنا الجديد والمتجدد انما يستمد نموه من جذوره ، وهو فى نفس الوقت مفتوح على الفكر العالمى والبشرى .

ان أبرز حاجاتنا فى هذه المرحلة هى تحرير العقلية العربية من استعباد الثقافات الغربية والوثنية .

ان من حقنا أن نراجع مفاهيم الغرب على القيم الأساسية التى نؤمن بها والتى قامت عليها حضارتنا منذ

خمسة عشر قرنا متصلة ليس فيها انفصال ، ما أشد حاجتنا الى اليقظة من خطر الاحتواء والاذابة . هذا الخطر الذى نجا منه الجيل الماضى ويجب أن ينجو منه جيلنا أشـــد بصيرة ويقظة وحرصا ، ان هناك محاولة للانقضاض علينا لاذابتنا فى البوتقة الكبرى .. بوتقة الشعوبية العالمية لنفقد ذاتيتنا ومزاجنا الخاص ونصبح تابعين أولياء لثقافات لا تصــــدر عن مصادرنا .

ان أمتنا لها منهج فكر وفلسفة حياة فعليها أن تعرف ذاتها وأن تؤكد شخصيتها .

والاسلام بالنسبة لنا ليس دينا فحسب ولكنه أيضـــا منهج فكر ونظام مجتمع ، فلنواجه الفـــكر الغربى ومذاهبه مواجهة صريحة فى كل قضاياه .

وقد يقال أن هناك التقاء بين الفكر الفرنسى والفـــكر الألمانى والفكر الأمريكى ، ولكن من الخطأ أن يدعى الفـــكر الاسلامى الى هذا اللقاء ، ذلك أن من الواضح أن هـــذه الثقافات ذات أصول واحدة أما الفكر الاسلامى فهو نسيج مختلف له طابعـــه الذاتى ، ومن هنـــا فليس من العسير أن يلتقى الفـــكر الغربى الا فى أصول عامة تتعلق ببعض الجوانب الانسانية .

لقد استطاع الفكر الاسلامى فى القرن الرابع والخامس أن يحطم قيد الاحتواء الاغريقى وأن يخلص منه ، وأن ينتصر عليه ، حيث عجزت ثقافات كثيرة عن أن تحتفظ بوجودها فى وجه هذا الاعصار الخطير (اعصار الهلينية) .

على المثقفين العرب أن يفكروا بلغتهم ، وأن يتحركوا من داخلهم ، وأن يتجاوزوا سارتر وفرويد وماركس جميعا .

ان أبرز أعمال المفكرين العرب والمسلمين فى هـذا العصر ومنطلق كفاحهم وغايته ، هو — تحرير الفكر الاسلامى من هيمنة الثقافة الغربية والعقلية الوثنية اليونانية والباطنية القديمة ، وهى نفس المهمة التى واجهت المسلمين من قبل وانتصر لهـا ابن حزم والغزالى وابن تيميـة والأشـعرى وابن الجوزى والقاضى ابن العربى .

وذلك هو واجب أعلامنا ومثقفينا ، وذلك تساؤلهم :

هل من حق الأمم أن تقبل كل ما يعرض عليهـا ، وما هو مصير القيم الأساسية ، هل هؤلاء المفكرون مبررون أم مصلحون ، هل هم هداة أم منقادون فى تيار كبير يريد أن يحتـوى الفكر الاسلامى القائم على التوحيـد المستمد من القرآن والذى يختلف عن الفكر البشرى كله .

واذا كان العـــالم اليـوم تغـزوه قـوة شريرة هى ــ الصهيونيـة الماسونيـة العالميـة ــ تريد تدميره فهل نقبل كل ما يقدم لنا . ان على مثقفينا مسئولية ضخمة هى ــ اليقظة ــ فى مواجهة ما يقرأ فلا يقبل كل ما يعرض عليه ، وليجعل له مقياسا صادقا لا يخيب ونافذا لا يفـل وصالحا لا تفسده عوادى التحول من الأزمان أو التغـير فى البيئات ، ذلك هو ــ القرآن ــ هذا النص الموثق الذى لا يأتيه البـاطل من بين يديه ولا من خلفـه والذى قاوم كل محاولة لتحريفه ، وعلى شبابنا أن يذكر أن كل ما يقال لا يؤخذ قضية مسلما بهـا ، وأن كل قول بعده يؤخذ منه ويرد عليه .

فالقرآن وحده هو الحق وليس بعده غير قول الرسول الصحيح فهو المعصوم باذن ربه ، وما بعـد ذلك يعرض على القرآن ويقبل فى ضوئه أو يرد .

كان منطلق اليقظة العربية الاسلامية يستمد مفهومه فى فترة ما من معادلة تقول بالربط بين القديم والجديد ، والماضى والحاضر ، والشرق والغرب .

وكان هذا المنطلق ، يمثل خطوة متعددة فى طريق اليقظة بالنسبة للمفهوم السائد اذ ذاك والقائل بالقديم وحـده أو الجديد كله .

ولكن نظرية التعادل والتجمع بين القديم والجديد لم تلبث ان عجزت عن أن تحقق شيئا وكانت نقطة الضعف فيها هى غياب القاعدة الاساسية التى يقوم عليها البناء . هذا فضلا عن أن مرحلة النقل والاقتباس والترجمة والاستعارة قد مضى بها الزمن ، وانتقل الفكر العربى الاسلامى فى ظل التحديات التى واجهته بعد النكبة ١٩٤٨ والنكسة ١٩٦٧ الى آفاق جديدة قوامها — بلوغ الرشد الفكرى .

ومن هنا فقد كانت الدعوة الى — البناء على الأساس — هى المنطلق الحقيقى لمواجهة الوافد وفرزه ومراجعته ونقده ، هذه القاعدة التى يجب اقرارها أساسا . ثم استئناف حركة الربط بين القديم والجديد والماضى والحاضر والشرق والغرب فى ضوئها .

ولما كان الفكر العربى الاسلامى على مر العصور متفتحا على مختلف الثقافات والأمم فقد كان ملازما ذلك على طول هذا التاريخ قيام قاعدة أساسية ثابتة صامدة راسخة ، هى التى تحمى الفكر والأمة من الذوبان والتحلل والتميع والانهيار .

ولما كانت صيحة الغزو الثقافى قد واجهت الفكر الاسلامى منذ اليوم الاول حين حاول عبد الله بن سبأ اخراجه من قيمه ومفاهيمه الأساسية وتابعه على الطريق عبد الله ابن المقفع ومن جاءوا بعده من الباطنية والشعوبية وفى

مقدمتهم — اخوان الصفا — فقد كان اقرار هذه القاعدة ، قاعدة الأساس هى صمام الامن فى انطلاق الفكر الاســـلامى وتطلعه الى التطور والحركة .

ولقد عملت دعوة التغريب منذ اليوم الاول لتطويق ما عجزت عنه الحركة القديمة ، واصطنعت نفس شبهاتها وان كانت تحمل من الأساليب والادوات ما هو أشد نفاذا واقوى واعنف فى سبيل زلزلة قوائم هذا الفكر وقواعده ، رغبة فى تذويبه فى أتون الفكر الغربى ، أو احتوائه على الاقل ودفعه الى طريق التبعية والعبودية للفكر الغربى .

ومن هنا فان — الاصالة — لم تعد فى الحق عاملا موازيا لعامل — الجديد — ليقوم الصراع بينها ، ولكنها : هى قاعدة الأساس فى البناء ، ثم يقوم الاختلاف فيما فوقها حول التجديد أو المحافظة وحول الترجمة أو البعث ، وحول مختلف القضايا التى تثار من أجل تحرير الفكر العربى الاســـلامى وتطويره ودفعه الى الامام ، واعطاء طبيعة الحركة لمواجهة المعاصرة والحدثية والتجدد .

ومن الحق ان الفكر الاسلامى له قوانينه الطبيعية التى تنظم له امر تطوره وامر حـــركته وانها هى قوانين أصيلة صحيحة مستمدة من جوهره ، وقد كانت دائما حاضرة لم تتخلف ، وكانت قادرة دوما على أن تمده بالتجدد والقدرة

على الحركة والمواءمة مع العصـــور والحضارات والبيئات دون أن يكون فى حاجة الى وصاية من فكر آخر ، أو ثقافات أخرى لها أساليبها وقوانينها فى التطور والحركة .

ولما كان الفكر العربى الاسلامى عميق الجذور ، وبعيد الأعماق فى التاريخ ، وقد أمضى اليوم خمسة عشر قرنا حيا متألقا متفاعلا ، مع الأزمنة والبيئات وقادرا على المواءمة والاستجابة فانه ليس فى حاجة لان تصطنع له مناهج أو أساليب تستحدث من الثقافات الأخرى على النحـــو الذى يحاوله جاك بيرك أو من تابعوه دون القاء نظرة أوسع على الفكر الاسلامى فى رحابته وأصالته وسعة آفاقه وعمق تراثه وبراعة مضامينه . وقاعدة الأساس فى الفـــكر الاسلامى بسيطة سمحة غير معقدة وهى لا تخرج عن كلمة واحدة هى التوحيد ، فكل ما يصدم التوحيد يتعارض مع الفكر الاسلامى ويخالف مصادره الأساسية وهى الاســـلام والقرآن وان مراجعة يسيرة للتحديات والشبهات والاخطار التى تحشد لمواجهته وتحديه لا تخرج عن تراث وثنى يونانى معارض كل المعارضة لطابع التوحيد ، فأساس البناء هو التوحيد وهو مفرق الحق والباطل والحكم فيما يقبل ويرد .

فالتوحيد هو طابع الذاتية العربية الاسلامية وقوام المزاج النفسى والاجتماعى ، فالأصالة هى التوحيد ، والوثنية هى التبعية .. وكل المفاهيم والفلسفات والمناهج والنظريات

التى ردها الفكر العربى الاسلامى فى جولة الغزو الثقافى الأولى والقائمة اليوم ، هى مفاهيم الوثنية المتمثلة فى بعض مفاهيم التفسير المادى للتاريخ ، والوجودية والتفسيرات النفسية والاجتماعية والتربوية التى تقوم على أساس انكار الدين وشجب الاخلاق وانكار المسئولية الفردية والبعث والجزاء .

فالفكر الاسلامى يقيم دعائمه التى تصدر عنها ثقافاته ومفاهيمه وقيمه على أساس الترابط بين العمل والمسئولية ، وبين الروح والمادة ، والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة . فاذا انفصل هذا الترابط ، سقط هذا الفكر فى الوثنية وواجه ذلك الخطر الخطير الذى يدمر الفكر العربى والنفس العربية والحضارة العربية ويوقعها فى اشد أزماتها خطرا .

والفكر الاسلامى يقيم قاعدته على أساس التوحيد والنبوة والايمان بالغيب والبعث والجزاء ولا يناقض نفسه فى هذا الترابط الأكبر بين علمى الغيب والشهادة ، وبين الدنيا والآخرة ، وبين المسئولية الفردية والحساب الأخروى .

وتلك عقدة العقد فى — الاصالة ومقومها الأساسى — فاذا تقررت على هذا النحو وهى مقررة فعلا لاسبيل الى تجاوزها أمكن اقامة التوازن بين الجديد والقديم والماضى والحاضر والشرق والغرب .

دار العلوم للطباعة
القاهرة، ٨ شارع حسين حجازي (القصر العيني)
ت ٣١٧٤٨٠

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٠/٢٦٠١

الترقيم الدولى ٠ — ٠٦ — ٧٣٢٨ — ٩٧٧